



الجزيرة.نت
Aljazeera.net

بولندا.. تجربة تغيير

إعداد
الدكتور محمد العلي

بولندا ... تجربة تغيير

إعداد

الدكتور محمد العلي

موقع الجزيرة نت

شبكة الجزيرة الفضائية

المقدمة

بولندا حاليا واحدة من الدول السبع والعشرين المكونة للاتحاد الأوروبي، لكنها تتميز عن نظيراتها بالأحداث التي جرت على أرضها خلال القرن العشرين وكان آخرها فتح الباب أمام التحول نحو الديمقراطية في شرق أوروبا.

هذه التغطية تعرّف بأبرز محطات مقاومة البولنديين السلمية للحكم الشمولي في ثمانينيات القرن الماضي وتحول بلدهم نحو دولة ديمقراطية تعددية قائمة على حكم القانون بعد التوافق بين المعارضة ممثلة بحركة التضامن وحزب العمال البولندي الموحد (الشيوعي سابقا) على تسوية عرفت بمفاوضات الطاولة المستديرة. وتعرف التغطية أيضا بأبرز محطات التحول نحو الديمقراطية وعقباتها وبأبرز الشخصيات الفاعلة في المشهد السياسي البولندي.

بطاقة معلوماتية

الدولة

الاسم: جمهورية بولندا

الاسم المختصر: بولندا

العاصمة: وارسو

اللغة: البولندية (رسمية) ٩٧.٨%، لغات أخرى ٢.٢%.

النظام السياسي: جمهوري

تاريخ الاستقلال (اليوم الوطني): ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٨ إعلان الدولة.

العملة: زلوتي

الجغرافيا

الموقع: تقع جمهورية بولندا في وسط أوروبا يحدها من الشمال بحر البلطيق وروسيا ومن الشرق لتوانيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا ومن الجنوب سلوفاكيا وتشيكيا ومن الغرب تشيكيا وألمانيا.

المساحة: ٣١٢.٦٨٥ كيلومترا مربعا.

الموارد الطبيعية: الفحم والكبريت والنفط والغاز الطبيعي والفضة والرصاص والملح والأراضي الصالحة للزراعة.

المناخ: معتدل يميل إلى البرودة وغائم وممطر في أغلب الفصول.

السكان

التعداد: ٣٨.٤٤١.٥٨٨ (تقديرات يوليو/تموز ٢٠١١).
نسبة النمو: -٠.٠٦٢% (تقديرات ٢٠١١).
التوزيع العرقي: ٩٦.٧% بولنديون، ٠.٤% ألمان، ٠.١% من روسيا البيضاء، ٠.١% أوكرانيون. ٢.٧% آخرون (إحصائيات ٢٠٠٢).
الديانة: كاثوليك ٨٩.٨%، ١.٣% أورثودوكس، ٠.٣% بروتيتانت، ٨.٦% غير محددة.

الاقتصاد

النتاج المحلي الإجمالي: ٧٢١.٣ مليار دولار (تقديرات ٢٠١٠).
النتاج الفردي السنوي: ١٨.٨٠٠ دولار (تقديرات ٢٠١٠).
نسبة النمو: ٣.٨% (تقديرات ٢٠١٠).
نسبة البطالة: ١٢.١% (تقديرات ٢٠١٠).
نسبة التضخم: ٢.٦% (تقديرات ٢٠١٠).
الدين الخارجي: ٢٦٨.٥ مليار دولار (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠).
أهم المنتجات: الفواكه والخضراوات والقمح والدواجن واللحوم والألبان والصلب وتعدين الفحم والمواد الكيماوية وبناء السفن والأغذية والزجاج والمنسوجات.

محطات تاريخية

- ٩٦٦ ميلادي الملك بيشكو يوحد القبائل البولندية الآتية من جنوب أوروبا ويعتق الكاثوليكية.
- ١٠٢٥ تأسيس مملكة بولندا وتشكيل كومولث موحد مع إمارة لتوانيا بعد ٤٤ عاما عرف باسم الكومولث البولندي اللتواني.
- ١٧٩٢ نبلاء بولندا يعتمدون أول دستور في أوروبا وهو الثاني في العالم بعد الأمريكي، ويقوم على مبدأ انتخاب الملك وإعطاء حقوق مدنية للنبل.
- ١٧٩٥ اختفاء بولندا من الخريطة السياسية لمدة ١٢٣ عاما بعد أن اقتسمت أراضيها الإمبراطورية البروسية (ألمانيا) من الغرب، والنمساوية المجرية من الجنوب، والروسية من الشرق.
- ١٩١٨ الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى على ألمانيا تعيد بولندا إلى الخريطة وفق ما سماه مواطنوها ولادة للجمهورية الثانية مع إعطاء محافظة غدانسك وضعا دوليا خاصا لأن غالبية سكانها من الناطقين بالألمانية.
- ١ سبتمبر / أيلول عام ١٩٣٩ تنطلق الحرب العالمية الثانية من منطقة غدانسك بعد اجتياح جيوش ألمانيا النازية لأراضي الجزء الغربي من بولندا، وتلا ذلك بعد ١٧ يوما اجتياح سوفياتي للجزء الشرقي منها بعد توقيع ألمانيا والسوفييات اتفاق عدم اعتداء. واقتسم الجاران العملاقان أراضي هذه الدولة مجددا وفق اتفاق سري عرف باتفاق "مولوتوف - روبنتروب".
- ١٩٤٠ ألمانيا النازية تنشئ ستة معسكرات اعتقال جماعي لليهود والغجر والبولنديين والأقليات العرقية غير الألمانية على أراضي هذه الدولة وترتكب أفظع جرائم الإبادة في أشهر معسكرين فيها وهما "تريبلينكا" و"أوشفيتز" والبولنديون يقامون الألمان تحت قيادة حكومة تعمل بالمنفى في بريطانيا.
- ١٩٤١ السوفييات ينقلون آلاف البولنديين إلى معسكرات اعتقال على أراضي الاتحاد السوفياتي ثم يقومون بتصفية ٢٢ ألفا من النخبة العسكرية والمدنية البولندية فيما عرف بـ "مجزرة كاتين". وقد أقر الزعيم

السوفيياتي الأخير ميخائيل غورباتشوف عام ١٩٩٠ لأول مرة بوقوع تلك المجزرة بأمر من جوزيف ستالين.

- ١٩٤٥ تقع بولندا بأكملها تحت سيطرة الاتحاد السوفيياتي نتيجة للحرب العالمية الثانية. ويتفق زعماء الدول المنتصرة بالحرب (الاتحاد السوفيياتي، والولايات المتحدة، وبريطانيا) في مؤتمر يالطا على توسيع حدود بولندا غربا على حساب ألمانيا وتقليصها شرقا (مع روسيا البيضاء وأوكرانيا) طبقاً لنسب التوزيع القومي للبولنديين ومواطني هذين البلدين، وتُضمّ غدانسك نهائياً إليها. وقد تجاهل هذا الاتفاق حكومة المنفى البولندية رغم أنها شكلت القوة العسكرية الرابعة ضمن جيوش الحلفاء خلال الحرب، ثم أتى السوفييات بحكومة يقودها حزب العمال البولندي الموحد (الشيوعي) بعد انتخابات مشكوك في نزاهتها.

المعارضة وحكم الشيوعيين

١٩٥٦ أول احتجاج عمالي في مدينة بوزنان وبدايات المشاعر المناهضة للسوفييات بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية ونقص المساكن وإرسال المواد الغذائية والإمدادات بكثافة إلى موسكو.

١٩٦٨ احتجاجات مناهضة للنظام في جامعات ووتش ووارسو وكراكوف وبوزنان وغدانسك ولوبن عرفت بأحداث مارس تلت التحركات المنادية بالديمقراطية في تشيكوسلافيا المجاورة المعروفة بربيع براغ، والجيش البولندي يتدخل لقمعها.

١٩٧٠ احتجاجات عمالية وطلابية في مدن غدانسك وغدينيا وإلبلاغ وتشتشين بشمال بولندا بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية تصدت لها الشرطة المعروفة بالمليشيات والجيش بإطلاق النار مما أدى إلى مقتل ٤٢ شخصا على الأقل وإصابة نحو ألف آخرين واعتقال نحو ثلاثة آلاف.

الاحتجاجات أدت إلى إطاحة فلاديسلاف غومولكا من رئاسة الحكومة وزعامة الحزب الحاكم واستعيض عنه بإدوارد جيريك الذي جمد زيادة الأسعار وذهب إلى غدينيا للاعتذار لعمالها.

١٩٧٦ مظاهرات عمالية في مدن وارسو و أوروس وراوم احتجاجا على رفع الأسعار، تبعها طرد عدد من العمال بينهم ليخ فاليسا من وظائفهم ومحكمة عدد منهم.

١٩٧٦ متقنون ورجال قانون يشكلون لجنة للدفاع عن العمال عرفت باسم "COR" للدفاع عن المحالين للمحاكم ودعم أسرهم ماديا.

١٩٧٧ مقتل طالب من جامعة كراكوف يدعى ستانيسلاف بيجاس معروف بانتائه للجنة الدفاع عن العمال في ظروف غامضة وسط شكوك في دور أجهزة النظام الأمنية في مقتله.

١٩٧٩ البابا البولندي الأصل يوحنا بولس الثاني يزور وطنه بعد عام من انتخابه و ٣٠٠ ألف تجمعوا لحضور قداس أقامه في وارسو رغم تضييقات السلطة. البابا يقول في عظته "الدولة لا تحكم الإنسان. دورها هو أن تكون في خدمته، وعليها أن تعبر عن سيادة الأمة، لا سيادة الكتلة التي تنفي إليها".

١٩٨٠ نحو ٨٠ ألف عامل في ١٧٧ مصنعا تديرها الدولة بيدؤون في يوليو/ تموز سلسلة إضرابات في مدن بولندية عدة احتجاجا على رفع الأسعار، وينضم إليهم في أغسطس/ آب عمال حوض لينين لبناء السفن في غدانسك، بعد طرد أنا فالنتينوفيتش الناشطة في الحركة العمالية المستقلة المناهضة للنظام.

العمال المضربون في حوض السفن ونحو ١٥٠ مصنعا مرتبطة به انتخبوا فاليسا رئيسا للجنة الإضراب وحددوا ٢١ مطلباً لهم أبرزها السماح لهم بتأسيس نقابات عمالية مستقلة وإقامة نصب لضحايا اضطرابات عام ١٩٧٠ وإعادة العمال الذين فصلوا لمشاركتهم في احتجاجات وإضرابات عامي ١٩٧٠ و١٩٧٦ إضافة إلى إطلاق السجناء السياسيين والسماح بحرية التعبير.

١٩٨٠ نائب رئيس الحكومة ميشيسلاف ياغيلسكي يوقع في ٣١ أغسطس/ آب مع رئيس لجنة الإضراب ليخ فاليسا داخل حوض لينين لبناء السفن أول اتفاق ينص على السماح بالإضراب والحق في تشكيل نقابة عمالية مستقلة، تلته اتفاقات مماثلة مع نقابات أخرى بعد انضمام نحو ثلاثة ملايين عامل إليها في مدن شتى، وهو ما فتح الباب في ٢٤ سبتمبر/ أيلول لتسجيل "تضامن" في المحكمة لتكون أول هيئة تنسيقية للنقابات المستقلة، في خطوة شكلت أول طعنة في رقبة الحكم الشيوعي في شرق أوروبا، لأنها سحبت من حزب العمال البولندي الموحد شرعيته الأخلاقية في تمثيل الطبقة العاملة.

سنوات التجاذب

- ١٩٨٠ نطاق المطالب العمالية والإضرابات الطلابية في مواجهة سلطة حزب العمال الموحد يتسع لدرجة دفعت بعض أعضائه إلى الانضمام إلى نقابات التضامن. والمطالبة بتسجيل نقابات خاصة بهم تنتقل إلى رجال الشرطة والجهاز القضائي واتحادات الطلاب والكتاب، وتطالب بمزيد من الإصلاحات مما دفع اللجنة المركزية للحزب الحاكم في ٦ سبتمبر/أيلول إلى تحميل الأمين العام للحزب إدوارد غيريك مسؤولية الأزمة السياسية في البلاد وإقصائه عن منصبه واستبدال ستانيسلاف كانيا به، في حين تصاعد دور وزير الدفاع فويشخ ياروزيلسكي.
- ١٩٨١ ياروزيلسكي يحل محل جوزيف بنكوفسكي في منصب رئيس الوزراء في ١١ فبراير/شباط ويدعو في كلمة له في البرلمان إلى تسعين يوما من الهدوء. بعيد بضعة أشهر دعوات إحلال الديمقراطية تنتقل إلى أروقة حزب العمال الحاكم في مؤتمره الاستثنائي المنعقد في ١٤ يوليو/تموز وسط ضغوط من الاتحاد السوفياتي عليه للتعامل بحزم مع المجتمع البولندي.
- ١٩٨١ الدول المشاركة في حلف وارسو تجري مناورات تحت اسم "سيوز ١٩٨١" بين ١٧ و ٢٥ مارس/ آذار، بعد زيارة الجنرال ياروزيلسكي والأمين العام لحزب العمال الموحد ستانيسلاف كانيا لموسكو ولقاءها زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف خلال تلك الزيارة.
- ١٩٨١ نقابة التضامن تعقد أول مؤتمر لها في غدانسك في سبتمبر/أيلول بعد انتخابات تمهيدية على مستوى الفروع بين منتسبيها الذين وصل عددهم إلى عشرة ملايين، وفاليسا يفوز بـ ٥٥% من أصوات المشاركين بعد منافسة مع أربعة مترشحين. والمؤتمر يوجه رسالة إلى عمال ألبانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ورومانيا وهنغاريا يقول فيها إن النقابة تسعى "إلى تحسين الشروط الحياتية للعمال" مما أثار غضب القادة السوفيات ونظرائهم في حزب العمال البولندي الموحد.
- ١٩٨١ الجنرال ياروزيلسكي أصبح في ١ أكتوبر/ تشرين الأول سكرتيرا أول للجنة المركزية لحزب العمال إلى جانب ترؤسه للحكومة وأتبع الخطوة بتعيين عدد من أعوانه في الوزارات المهمة ومدد خدمة العسكريين الإلزامية. وفي الرابع من الشهر ذاته يلتقي زعيم تضامن ليخ فاليسا ورئيس الكنيسة جوزيف غلمب ويعرض تشكيل جبهة سياسية موحدة للتصدي للأزمة الاقتصادية.

- ١٩٨١ ياروزيلسكي يعلن فرض الأحكام العرفية في ١٢ ديسمبر/ كانون الأول ونقل السلطة إلى مجلس عسكري للإتقاد بعد فض الجيش بالقوة إضرابا نفذه طلاب أكاديمية الإطفاء بوارسو وحصول أجهزة الأمن على تسجيلات للمشاركين فيه تتهم "التضامن" بالتحضير لحرب على النظام.
- الجيش يهاجم في ١٦ ديسمبر/ كانون الأول عمال مناجم أضربوا احتجاجا على فرض الأحكام العرفية ويقتل ٩ منهم. وقد أشارت لجنة تحقيق برلمانية شكلت أواخر التسعينيات إلى أن عدد قتلى الحكم العسكري بأحاء بولندا قارب تسعين شخصا. وأشارت دراسات لاحقة إلى أن ٨٥٠ ألفا من أعضاء حزب العمال الموحد الحاكم غادروا صفوفه بالتدرج بعد فرض هذا النظام.
- ١٩٨٢ إدارة الرئيس الأميركي رونالد ريغان تفرض عقوبات تجارية على بولندا وتعلن الـ٣٠ من يناير/ كانون الثاني يوما للتضامن مع الشعب البولندي.
- ١٩٨٢ مظاهرات احتجاج في عدة مدن في شهري مايو/ أيار وأغسطس/ آب واجهها النظام باستخدام القوة، والمقاومة تتخذ أشكالا رمزية بينها مقاطعة الصحافة الرسمية وإشعال الشموع على نوافذ المنازل، وفي ١٨ مايو/ أيار مات بيوتر ماشيرازك (١٩ عاما) جراء ضربه بقسوة من قبل رجال الأمن لرفضه إبراز بطاقته الشخصية.
- ١٩٨٢ السلطات تحاكم أربعة من قادة المعارضة بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم هم ياسك كورون ويان ليتينسكي وآدم ميخنيك وهنريك فويتش وفي ديسمبر/ كانون الأول حوكم سبعة من قادة التضامن.
- ١٩٨٣ الحكومة تعلق العمل بالأحكام العرفية وعدد المحكوم عليهم بتهمة خرقها لغاية شهر يوليو/ تموز يصل إلى ١٢ ألفا. وأقصى تلك الأحكام كان من نصيب إيفا كايستيفيتش التي حكم عليها بالسجن عشرة أعوام لمشاركتها في إضراب احتجاجي في الأكاديمية البحرية في غدينيا، كما طرد أكثر من ألف صحفي من أعمالهم.
- ١٩٨٣ ليخ فاليسا يمنح جائزة نوبل للسلام في أكتوبر/ تشرين الأول ويوفد زوجته وأحد أبنائه لتسلمها، لخشيته من أن يمنع من العودة إلى بولندا.
- ١٩٨٤ استخبارات وزارة الداخلية تختطف في أكتوبر/ تشرين الأول القس يرزي بوبوليسكو المتعاطف مع التضامن ويعثر على جثته في أحد الأنهر بعد أيام وهو حدث روع البولنديين. ربع مليون بولندي يتقدمم فاليسا شاركوا في تشييعه في نوفمبر/ تشرين الثاني، والسلطة تقدم المتورطين في القضية إلى المحكمة دون أن يتضح من يقف وراء الأمر بقتل القس.

- ١٩٨٥ السلطة تصدر أحكاما على عدد من قياديي التضامن مثل فلاديسلاف فراسنيوك وآدم ميخنيك ويوغدان ليس، بالسجن لعدة أعوام بتهمة تهديد النظام العام وتعتقل زبغنيو بوجاك أحد رموز العمل السري في التضامن.
- ١٩٨٦ السلطات تصدر في يوليو/ تموز عفوا عن ٢٠٠ من المعتقلين السياسيين في إشارة إلى اتجاهها لتعديل موقفها من المعارضة والإبقاء في السجون على عدد من قادتها المحكوم عليهم بتهمة الخيانة العظمى.
- ١٩٨٦ فاليسا يعلن تأسيس مجلس وطني مؤقت لنقابة التضامن يضم تاديوش مازوفيتسكي ويانوش بالويسكي وزبغنيو بوجاك، في حين يواصل الفرع السري للنقابة وصحافته عملهما. وأعيد كذلك إحياء اتحاد المزارعين والروابط الطلابية المستقلة وظهرت أحزاب جديدة على الخريطة السياسية كالحزب الاشتراكي البولندي وحزب الاستقلال.
- ١٩٨٨ إضرابات عمالية جديدة في مايو/ أيار وأغسطس/ آب في حوض بناء السفن بغدانسك، والعمال يخرجون في مظاهرات بشوارع المدينة وعدد من المدن الأخرى للمطالبة بتشريع عمل "التضامن" والسلطة تطلب التفاوض مع قادة النقابة بدلا من التصدي لها، بتأثير انتشار بريسترويكا غورباتشوف في النصف الثاني من الثمانينات.
- ١٩٨٨ وزير الداخلية الجنرال تشيسلاف كيزجاك يدعو المعارضة إلى الجلوس إلى مفاوضات الطاولة المستديرة وفي شهر سبتمبر/ أيلول تجري مفاوضات سرية بين ممثلين عن حزب العمال الموحد والمعارضة بضواحي وارسو تمهيدا لمفاوضات الطاولة المستديرة.
- ١٩٨٩ مفاوضات الطاولة المستديرة تبدأ بين ممثلين عن الحكومة والحزب الحاكم وقادة التضامن في ٦ فبراير/ شباط برعاية الكنيسة الكاثوليكية بعد تقسيم الوفود إلى ثلاث مجموعات عمل لبحث "الإصلاح السياسي، والتعددية النقابية، والتعددية الحزبية، والاقتصاد والقضايا الاجتماعية".
- المفاوضات تنتهي رسميا في ٥ أبريل/ نيسان بالاتفاق على تقنين النقابات المستقلة، وتحديد ولاية رئيس الجمهورية، وإلغاء سلطة الأمين العام لحزب العمال الموحد، وإعطاء السلطة الحقيقية لمجلس النواب والشيوخ، وتنظيم انتخابات يتاح فيها للتضامن التنافس على ٣٥% من مقاعد مجلس النواب مقابل إبقاء ٥٠% لحزب العمال والتنافس على جميع مقاعد مجلس الشيوخ.
- ١٩٨٩ الانتخابات التي جرت في ٤ يونيو/ حزيران تمنح فوزا كاسحا للتضامن بلغت نسبته ٩٩% في مجلس الشيوخ إضافة إلى اكتساح كل المقاعد المخصصة لها في مجلس النواب، كما فاز الجنرال ياروزيلسكي بالرئاسة بأصوات مجلس النواب.

- بعد فشل الجنرال تشيسلاف كيزجاك في تشكيل حكومة إثر رفض حزب الشعب الموحد والحزب الديمقراطي الحليفين التقليديين للشيوعيين التحالف معه، فتحت الطريق للقيادي في التضامن تاديوش مازوفيتسكي لتشكيل أول حكومة غير شيوعية في بولندا منذ الحرب العالمية الثانية.

مسيرة الديمقراطية البولندية

بعد أشهر من أول انتخابات ديمقراطية بولندية جزئية بدأت الأنظمة الشمولية لدول المعسكر الاشتراكي السابق الانهيار متأثرة بأزماتها الداخلية ومفعول بريسترويكا آخر زعماء الاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشوف.

وبطريقة تشبه ألعاب الدومينو بدأ تصدع النظام في هنغاريا بعد فتح حدودها مع النمسا في مايو/أيار، وتلاه هروب الألمان الشرقيين إلى الغرب عبر هنغاريا. ثم ما لبث جدار برلين الفاصل بين الألمانيتين أن هدم في نوفمبر/ تشرين الثاني مما ترك أثرا مباشرا في بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وألبانيا.

وفيا يلي أبرز المحطات السياسية لبولندا الجديدة:

- ١٩٩٠ ليشيك باكيروفيتس وزير المالية في حكومة مازوفيتسكي يطبق نموذج "العلاج بالصدمة" لإصلاح الاقتصاد البولندي الذي كان موجها من قبل الدولة.
- ١٩٩٠ ليخ فاليسا ينتخب أول رئيس لبولندا في اقتراع عام في نوفمبر/ تشرين الثاني.
- ١٩٩١ التضامن تجدد فوزها في غرفتي البرلمان في أول انتخابات ديمقراطية كاملة في شهر أكتوبر/ تشرين الأول.
- ١٩٩٣ الجيش السوفياتي ينسحب من أراضي بولندا.
- ١٩٩٣ تحالف اليسار الديمقراطي (الشيوعيون السابقون) يفوز بالانتخابات التشريعية لكنه يواصل الإصلاحات الاقتصادية والسياسة الموالية للغرب.
- ١٩٩١ إعلان الانسحاب من حلف وارسو.
- ١٩٩٥ مرشح تحالف اليسار الديمقراطي ألكسندر كواشينفسكي يهزم ليخ فاليسا في انتخابات الرئاسة ويعاد انتخابه لولاية ثانية عام ٢٠٠٠ استمرت حتى عام ٢٠٠٥.
- ١٩٩٧ اعتماد دستور جديد لبولندا.
- ١٩٩٩ الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي إلى جانب خمس دول من المعسكر الاشتراكي السابق هي تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ودول البلطيق الثلاث (ليتوانيا، وإستونيا، ولاتفيا).
- ٢٠٠٤ الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي إلى جانب هنغاريا وسلوفاكيا وقبرص ومالطا وجمهورية التشيك.

- ٢٠٠٥ حزب القانون والعدالة (المحافظ) بزعامة الشقيين (ليخ وياروسلاف كاجينسكي يفوز بالانتخابات التشريعية في سبتمبر/ أيلول وفي انتخابات الرئاسة في أكتوبر/ تشرين الأول يفوز ليخ، ويتولى ياروسلاف رئاسة الحكومة في ٢٠٠٦ بعد انسحاب القيادي في القانون والعدالة كازيمير مارتينفيتش من المنصب.
- ٢٠٠٧ ائتلاف المنتدى المدني (يمين الوسط) بزعامة دونالد توسك يزعج حزب العدالة والقانون المحافظ عن الحكم في انتخابات مبكرة، فيتحول ياروسلاف كاجينسكي إلى زعيم للمعارضة.
- ٢٠١٠ الرئيس ليخ كاجينسكي يقضي في حادث تحطم طائرته الرئاسية مع ٩٥ من كبار المسؤولين أثناء توجهه في ١٠ أبريل/نيسان إلى روسيا لإحياء ذكرى مجزرة كاتين التي قتل فيها ٢٢ ألفا من نخبة بولندا المدنية والعسكرية خلال الحرب العالمية الثانية على أيدي أجهزة أمن ستالين عام ١٩٤٠.
- ٢٠١١ انتخابات رئاسية مبكرة يفوز فيها الرئيس المؤقت برونيسلاف كوموروفسكي على منافسه ياروسلاف كاجينسكي الشقيق التوأم للرئيس الراحل وشريكه في رئاسة حزب القانون والعدالة.
- ٢٠١١ سادس انتخابات تشريعية منذ التحول للديمقراطية واحتمال أن يكرر المنتدى المدني فوزه بالانتخابات في حالة هي الأولى منذ بدء التحول الديمقراطي قبل ٢٢ عاما.

تحديات وعثرات

واجهت بولندا تحديات وعثرات كثيرة في سعيها للحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو والتخلص من إرث الحكم الشمولي وبناء الديمقراطية أبرزها:

- الالتزام بما عرف بمعايير كونهغن التي وضعتها قمة للاتحاد الأوروبي في العاصمة الدانماركية عام ١٩٩٣ شروطًا لتحقيق رغبة البولنديين في الانضمام إلى عضوية الاتحاد. وتتلخص الشروط في استقرار المؤسسات الدستورية المسؤولة عن تطبيق الديمقراطية، ووجود اقتصاد سوق فاعل، واحترام وحماية الأقليات، وتنفيذ حكم القانون، والحفاظ على حقوق الإنسان.
- واشترط الناتو بدوره تقليص حجم الجهاز العسكري البولندي وتبديل عقيدته العسكرية واعتماد السياسات الأمنية والعسكرية المعمول بها لدى دول الحلف كشرط مسبق لضم بولندا إلى صفوفه.
- أما عملية التخلص من أجهزة الحكم الشمولي فاستلزمت تفكيك الجهاز الأمني السابق جهازي الشرطة والاستخبارات وإلحاق إدارة السجون بوزارة العدل بدلا من الداخلية. وأقيم في المقابل معهد الذاكرة الوطنية لتذكير الأجيال المقبلة بالفظاعات التي ارتكبتها الأجهزة الأمنية خلال النصف الثاني من القرن العشرين.
- وفي إطار إنهاء الحكم القائم على التخطيط المركزي تم توسيع دور السلطات المحلية عبر نقل غالبية صلاحيات الحكومة المتعلقة بالبنية التحتية والتعليم والصحة إلى السلطات المحلية وتوسيع مشاركة المجتمع المدني في الرقابة على أجهزة الدولة.
- لكن أخطر العثرات في تجربة الديمقراطية البولندية ظهرت مع حكومة حزب القانون والعدالة عام ٢٠٠٦ عندما شرعت عبر البرلمان قانونا يدعى " التطهير " أو " فحص الماضي ". ويقوم القانون الذي شمل نحو ٧٠٠ ألف شخص على إلزام كل موظفي الدولة والمدرسين والمحامين والصحفيين المولودين قبل عام ١٩٧٢ بالاعتراف طوعا خلال ١٥ يوما بمدى تعاونهم مع أجهزة الأمن الشيوعي بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٨٩. لكن القانون الذي أثار سخط غالبية البولنديين والاتحاد الأوروبي، ما لبث أن أبطلت معظم مواده بعد تدخل المحكمة الدستورية.

رواد

ياروزلسكي .. وطني على طريقته

ينتظر الجنرال فويشيخ ياروزيلسكي في أحد مستشفيات وارسو أجله المحتوم كرجل مصاب بالسرطان، و متمسك إلى الآن بموقفه بأن فرضه الأحكام العرفية في بولندا عام ١٩٨١ كان إنقاذا لها من غزو سوفياتي محتوم بمقياس ذلك الزمن، وليس إجحاضا لديمقراطيتها الناشئة.

يستطيع ياروزيلسكي الذي تجاوز الثامنة والثمانين من العمر أن يلتقي خصمه السابق ليخ فاليسا كما حدث في ٢٤ سبتمبر / أيلول الماضي أثناء عيادة الأخير لنجله ياروسلاف الذي كان يرقد بذات المستشفى، لكن هذا اللقاء لم يكن ممكنا بين الرجلين اللذين شاء انتقال بولندا للديمقراطية عام ١٩٩٠ أن يتعاقبا على رئاستها. الأول كأخر رئيس شيوعي منتخب من البرلمان. والثاني كأول رئيس منتخب ديمقراطي منتخب مباشرة من الشعب.

قبل تعاقبها على المنصب كانا في متراسين متقابلين في إطار حرب إيديولوجية عالمية كانت بولندا مختبرها الأول الذي أنبأ العالم بأن الاتحاد السوفياتي سيزول كقطب عالمي وكدولة.

وقبل ذلك اختار ياروزيلسكي التخلي عن العناد والتفرد فوافق على مفاوضات الطاولة المستديرة بين حركة تضامن المعارضة، وما كان يعرف بحزب العمال البولندي الموحد.

وسلم أمر رعاية المفاوضات للكنيسة الكاثوليكية البولندية. كل ذلك بعد إمساك بتلابيب بولندا في حقبة كان خلالها رئيسا للوزراء وأمين عام لحزب العمال البولندي الحاكم وقائدا للجيش.

لم يحضر ياروزلسكي مداولات الطاولة المستديرة التي أسست عام ١٩٨٩ لديمقراطية بولندا الحالية. لكن كل وقائعها وقراراتها كانت تنقل له ويوافق عليها كما يفيد مؤرخو تلك الحقبة.

متسلحا بهذا الإنجاز ربما، لم يتردد في المثول أمام محاكم بولندا، عندما كان يخطر لجهة أو راغب بفتح ملفات الحقبة الشيوعية لمحكمة المسؤولين عن سقوط قتلى برصاص الجيش أو الشرطة. حدث هذا عام ٢٠٠٨ وتكرر عام

لم يتردد الجنرال الذي اعتنق الشيوعية في يفاعته ودافع عنها كجنرال ووزير للدفاع وقائد للجيش ورئيس للدولة في الاعتراف عام ٢٠٠١ بفشلها.

وقد جاهر بعد خروجه إلى التقاعد بأن دليبه إلى ذلك مناشدة الألمانين الشرقيين لميخائيل غورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفياتي خلال مهرجان للحزب الاشتراكي الحاكم بأن ينقذهم مما هم فيه.

ميخنيك ضمير بولندا ومحرك رأيها العام

يتمتع الصحفي والمؤرخ البولندي آدم ميخنيك بمكانة لا ينافسه فيها أحد بطول بولندا وعرضها. فهو أحد رموز المعارضة الديمقراطية السلمية للحكم الشيوعي، وحارس التعددية والتنوع بعد انهياره، والأعمق تأثيرا في الرأي العام البولندي في الوقت الحالي.

أولى وقفات ميخنيك المولود عام ١٩٤٦ كانت بعيد التحاقه بكلية التاريخ في جامعة وارسو عام ١٩٦٤ عند كتابته رسالة مفتوحة إلى حزب العمال البولندي الحاكم (الشيوعي) يطالبه فيها بإصلاح النظام السياسي. وسجل حضورا مماثلا عام ١٩٦٨ عند نشوب أزمة سياسية في بولندا بالتزامن مع ربيع براغ الشهير في تشيكوسلوفاكيا المجاورة لبولندا دفع ثمنه باهظا، حيث فصل من الجامعة وحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام.

ولم يغب ميخنيك في سبعينيات القرن الماضي عن المشهد السياسي المناهض للنظام فكان أبرز المشاركين في لجنة الدفاع عن العمال (كور) التي قدمت إسهاما قانونيا وماديا لعمال بولندا في صراعهم مع النظام لينالوا عام ١٩٨٠ فرصة تشكيل أول نقابة عمالية مستقلة في شرق أوروبا بعد إضراب حوض بناء السفن في غدانسك.

وترك المؤرخ والصحفي المذكور بصمته الخاصة عبر الصحافة السرية التي نقلت إلى البولنديين وقائع ما يجري في هذا البلد خلال فترة الأحكام العرفية في ثمانينيات القرن الماضي. وسجن إثرها وحوكم وأفرج عنه لاحقا في إطار عفو شمل ٢٠٠ سجين سياسي.

وعندما حلت ساعة الحوار مع الحزب الحاكم بعد إنهاكه عام ١٩٨٩ كان ميخنيك بين المساهمين الكبار في مفاوضات الطاولة المستديرة التي فتحت الباب للتغيير في بولندا ومهدت لأول انتصار سياسي لنقابة التضامن في انتخابات يوليو/ تموز من العام ذاته.

واستنادا لهذه المفاوضات والتسوية صدرت "صحيفة غازيتا فيبورشا- الصحيفة الانتخابية" لأول مرة وواصلت الصحيفة الصدور حتى اليوم تحت إدارة ميخنيك، وتربعت على عرش الريادة والتأثير في الرأي العام البولندي بعدد نسخ وصل إلى ٤٥٠ ألفا ونحو ٥.٥ ملايين قارئ.

لم يتردد ميخنيك في مقالاته في الدفاع عن الرئيس الأسبق وفارض الأحكام العرفية في بولندا الجنرال فويشيخ ياروزيلسكي عندما كان مهددا بالحاكمة. ومجته في ذلك دوره المذكور في عدم سقوط قطرة دم واحدة خلال الحقبة الحساسة للانتقال من النظام الشمولي إلى الديمقراطية.

ودافع ميخنيك كذلك عام ٢٠٠٦ عن ضحايا قانون "التطهير" (فحص الماضي) الذي أقره زعيما حزب العدالة والقانون الأخوان ليخ وياروسلاف كاجينسكي في مسعى للانتقام من رفاق الأمس ومن أكثر من ٧٠٠ ألف بولندي اتهموا بالتعاون مع أنظمة الأمن خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

وكتب ميخنيك في ذلك قائلا "اليوم أصبحت بولندا ترزح تحت حكم تحالف مؤلف من جماعات ما بعد التضامن التي تسعى لاسترداد مكنتها القديمة، ومشاعبين إقليميين من مرحلة ما بعد الشيوعية، وورثة شوفينية ما قبل الحرب العالمية الثانية، ومصابين برهاب الأجانب".

وختم قائلا "أنا على يقين من أن البولنديين سيدافعون عن حتهم في الحياة الكريمة وأن قرار المحكمة الدستورية يمنحنا الأمل في امتناع الطور الثاني من الثورة البولندية من التهام سبب وجودها".

ميخنيك الذي حصل على جوائز أوروبية لدوره في نشر ثقافة التسامح، يشاطر صحفيي العالم قلقهم من إمكانية تعول رأس المال على مؤسساتهم بالمقدار نفسه الذي كان قائما في حقبة الحكم الشمولي. وعندما سألته الجزيرة عن الحل الوسط لإنتقاذ الصحافة من خيار تمويل الأنظمة وتمويل رأس المال قال "الحل كله في يد الله. لكن إذا كان لدي فرصة الاختيار بين ديكتاتورية فاسدة وديمقراطية فاسدة فأنا أختار الثانية".

كواشينفسكي.. طبعة مختلفة لليسار

لم يكن ألكسندر كواشينفسكي خلال مفاوضات الطاولة المستديرة عام ١٩٨٩ يمثل لدى قادة حركة التضامن أكثر من ريب للبيروقراطية الشيوعية المعروفة اختصاراً بالنومينكلا تورا جرى تكليفه بمفاوضتهم نيابة عن حاكم البلاد الجنرال فويشيك ياروزيلسكي على قواعد الانتقال من الشيوعية التقليدية إلى مجتمع ديمقراطي تعددي.

لكن السياسي الاشتراكي الشاب -الذي كان قد شغل مناصب عدة أهمها منصب وزير الشباب والرياضة- أثبت بالتجربة أنه ليس تكررًا مملاً للقادة الاشتراكيين الذين كشفت بريستويكا غورباتشوف حقيقة إمكاناتهم قبل أن يسقطوا واحداً بعد الآخر كأحجار الدومينو في هنغاريا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا.

وسرعان ما قام كواشينفسكي بعد فوز قادة التضامن الملفت في البرلمان ومجلس الشيوخ بانتخابات شهر يونيو/حزيران، بتأسيس الحزب الديمقراطي الاجتماعي على أنقاض حزب العمال البولندي الموحد المثقل بأوزار التجربة الشيوعية في بولندا.

وفي خطوة لاحقة قام كواشينفسكي المولود عام ١٩٥٤ بللمة شتات اليسار في إطار واحد عرف باسم تحالف اليسار الديمقراطي عام ١٩٩١ مما أهله في انتخابات عام ١٩٩٣ لاكتساح ٢٠٠ من مقاعد مجلس النواب الـ٤٦٠ مستفيداً من آثار العلاج بالصدمة الذي طبقه ليشيك باريفوتش وزير المالية في حكومة تاديوش مازوفيتسكي. وعند حلول موعد انتخابات الرئاسة عام ١٩٩٥ تمكن كواشينفسكي من هزيمة زعيم التضامن التاريخي ليخ فاليسا مستخدماً شعاري "لنختر المستقبل" و"بولندا تتسع للجميع".

لكن الرئيس الجديد اختار انتهاز سياسة موالية للغرب والولايات المتحدة تحديداً كي يبدد مخاوف مواطنيه الذين كانوا يخشون أن يكون وصوله إلى منصب الرئاسة مؤشراً على العودة إلى الزمن الشيوعي الغابر.

وفي سياق تطبيقه لهذا النهج عبر منصبه المحدود الصلاحيات وتولي تحالفه أمر الحكم بين أعوام ١٩٩٣ و١٩٩٧ انخرطت بلاده في حلف الناتو وحصلت على عضويته الكاملة عام ١٩٩٩ وواصلت عملية الانتقال إلى اقتصاد السوق الحرة. لكن أهم الإنجازات البولندية المسجلة في عهده تمثلت في إقرار دستور جديد لبولندا عام ١٩٩٧.

وفي المقابل حمل سجل كواشينفسكي على المستوى الدولي وخصوصاً في فترته الرئاسية الثانية ندوباً كثيرة كانت في الأساس نتاج تعاونه المفرط مع إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش في ما يعرف بالحرب الأميركية على الإرهاب ومشاركة بلاده الفاعلة في احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

وإشير رئيس المحكمة الدستورية البولندية البروفسور أنجي جابلينسكي - وهو ناشط حقوقي- في حديث للجزيرة إلى أنه كان شديد الاهتمام بموضوع السجون السرية التي كثر الحديث عن وجودها في بولندا ودول أخرى حليفة للولايات المتحدة، وأنه استفساراته حول الموضوع كانت تواجه بعبارة "سري للغاية".

ويمثل كواشينفسكي الرئيس السابق الآن إيقونة اليسار الجديد في بلاده حيث سجل ظهوره مع مرشحي اليسار المغمرين في الدعاية الانتخابية في الأرياف لتحسين حظوظهم في الفوز بمقعد في انتخابات عام ٢٠١١ إلى جانب دوره في مساعي توسيع الديمقراطية ونقلها إلى البلدان المجاورة لبولندا كأوكرانيا وروسيا البيضاء.

كاجينسكي شعبية وسلطة لسان

يوصف ياروسلاف كاجينسكي زعيم حزب العدالة والقانون أكبر أحزاب المعارضة في صحافة بلاده بأنه الأكثر إثارة للجدل بين سياسيي بولندا، ويرى باحثون بارزون في هذا البلد الواقع في وسط أوروبا أنه نموذج للسياسي الشعبي أي الذي يميل للرأي العام سعياً للسيطرة عليه وقيادته.

فالسيسي المولود عام ١٩٤٩ مثل شقيقه ليخ كاجينسكي (الذي قضى بتحطم طائرته الرئاسية عام ٢٠١٠) تخرج من مدرسة حركة التضامن التي قادت المعارضة الديمقراطية لحكم الشيوعيين في ثمانينات القرن الماضي.

ومع إقلاع النظام التعددي بعد انتخابات عام ١٩٩٠ تشارك التوأمان في تأسيس حزب ديمقراطي مسيحي وترأساه ودخلا البرلمان تحت رايته.

ومع اقتراب انتخابات عام ٢٠٠٥ عاد التوأمان وشكلا حزب العدالة والقانون مستخدمين قاعدة نقد أخطاء رفاقهم في مرحلة التحول نحو الديمقراطية، مما فتح أمام ياروسلاف وشقيقه فرصة الفوز بالانتخابات التشريعية والاستحواذ على مناصب رئيس الحكومة ورئيس الدولة.

ويقول رئيس مركز الشؤون العامة ياشيك كوتشارشك - وهو مركز بحثي بولندي مرموق - للجزيرة عن تلك الفترة إن الشعبويين (في إشارة إلى كاجينسكي) لم يكن بإمكانهم وقتها طرح مواضيع مثل منع الإجماع قبل الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لأن معايير كونهنباغن بشأن دولة القانون وحقوق الأقليات وغيرها كانت سيفا مسالطا عليهم.

ويربط كوتشارشك أيضا بين فوز من ساهم "الشعبويين" وتركيزهم على عقدة الخوف من أوروبا في مسعاهم للوصول إلى السلطة: "سيجتاحنا الألمان وسيشترون بلادنا بأموالهم".

لكن بولندا ما لبثت أن شهدت أثناء فترة حكم حزب العدالة والقانون أكثر قوانينها إثارة للجدل. فقد أجاز البرلمان "ويقوم مضمونه على فحص ماضي كل صحفي *illustration* عام ٢٠٠٦ مشروع قانون عنوانه ديني الطابع "التطهير ومدرسي ومحامي بولندا المولودين قبل عام ١٩٧٢ عبر إلزامهم بالإقرار خلال ١٥ يوما بأنهم لم يتطوعوا بالتعاون مع أجهزة الأمن الشيوعية بين عامي ١٩٤٥ و١٩٨٩.

واستدعى القانون المذكور حالة انقسام بين البولنديين باعتباره يمس نحو ٧٠٠ ألف منهم، واستنكرته المؤسسات الأوروبية ووصفه أعضاء البرلمان الأوروبي بأنه محاولة من حكومة كاجينسكي "لاصطياد الساحرات" وتهديد للحريات المدنية.

وفي مسعى لاختبار رضا الناخبين دعا كاجينسكي عام ٢٠٠٧ إلى انتخابات مبكرة لاعتقاده أنه سيكسبها - حسب كوتشارك- لكن النتيجة كانت فوزا مقنعا للمنتدى المدني المنتمي إلى يمين الوسط (زعامة رئيس الوزراء الحالي دونالد توسك) الذي يضم في صفوفه عددا كبيرا من ناشطي حركة التضامن.

وفي سياق حملة الانتخابات التشريعية لعام ٢٠١١ لم يخلع كاجينسكي جلده. فهذا هو الرجل الذي وصفته صحيفة "وارسو بيزنيس ويك" بأنه أكثر شخصية مستقطبة للمحبين والكارهين معاً، لا يترك أحداً من سياسيي جيله إلا استخدم وصفاً له يتداوله الشارع البولندي في اليوم التالي.

فالرئيس الحالي برونيسلاف كوروفسكي الذي تفوق عليه في انتخابات الرئاسة التي تلت موت شقيقه ليخ "انتخب عن طريق الخطأ". وصحيفة "غازيتا فيورشيا" الأوسع انتشاراً في بولندا "استمرار للحزب الشيوعي البولندي".

ومؤخراً وسع كاجينسكي لغته القاسية لتصل إلى ألمانيا المجاورة لبولندا والتي تشهد علاقتها بهذا البلد ازدهاراً منذ انضمامه للاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤.

فها هو كاجينسكي يصدر كتاباً جديداً بعنوان "بولندا أحلامنا" يقول فيه إن ميركل تريد أن تكون بولندا بلداً "تابعاً". وأشار إلى أن ميركل نفسها بالقول إنها لم تصبح مستشارة "بمحض الصدفة" ملمحاً إلى أن الشرطة السرية الألمانية الشرقية ساعدتها في الوصول إلى السلطة. وقد علق رئيس الوزراء دونالد توسك على تلك التصريحات بأنها "تضر بالمصالح الوطنية البولندية" وبأن كاجينسكي يخوض "حرباً كلامية مع دولة جلب تعاونها الجيد منافع لبولندا ولم يجلب خسائر".

باليكوت عدو الكنيسة

أعطى حجم النجاح الذي حققه السياسي البولندي يانوش باليكوت والحركة التي تحمل اسمه في الانتخابات التشريعية الأخيرة، صورة عن حجم التغيير في ذهنية الناخب البولندي بعد ٢١ عاما على انتهاء السلطة الشيوعية الموالية لموسكو في هذا البلد.

فالسيسي الليبرالي-الذي دخل البرلمان لأول مرة عام ٢٠٠٥ على لوائح المنتدى المدني الحاكم- لم يقلب التوقعات في انتخابات أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١١ بحصول حركته على ١٠% من أصوات الناخبين فحسب. بل إن نسبته فاقت الـ ٨% التي حصل عليها تحالف اليسار الديمقراطي (الشيوعي السابق) الذي حكم بولندا في التسعينيات واحتفظ زعيمه ألكسندر كواشينفسكي بمنصب الرئاسة لولايتين متتاليتين (١٩٩٥-٢٠٠٥).

وكان منظر باليكوت رجل الأعمال الثري لافتا خلال الحملة الانتخابية الموجهة حصرا لجيل الشباب. فكان حريصا على الوقوف إلى جانب نجوم الغناء والرقص شبه العراة. وزاد على ذلك باختراق محرمات كنسية مثل الدعوة إلى تشريع الإجماع والمطالبة بالسماح بتدخين الحشيش وزواج الشواذ وإنشاء اتحادات مدنية لهم ومنع الكنيسة من الحصول على الدعم الحكومي ووقف تدريس حصص الدين الكاثوليكي في المدارس، وهو ما أغضب القساوسة ودعاهم لمهاجمته بعنف حسب ما أفاد المحلل إدموند ويكلبنسكي.

وفي بلد تعتبر فيه الكاثوليكية جزءا من الهوية الوطنية ويدين بها ٩٠% من سكانه تصبح المقاعد الأربعون التي انتزعتها باليكوت في البرلمان بفضل حملته الصريحة ضد الكنيسة مؤشرا على حجم التغيير الذي تركه افتتاح الجيل البولندي الجديد على العالم بعد سبع سنوات من انضمام بولندا للاتحاد الأوروبي. تغيير وصل حد قبولهم أن تكون أنا غرودسكا السيدة المتحولة جنسيا والمرشحة على لائحة باليكوت عضوا جديدا في البرلمان.

بموازاة ذلك لم يستثن باليكوت-الذي غادر العام الماضي فقط صفوف المنتدى المدني- في حملته حزب العدالة والقانون المحافظ فاتهم زعيمه-المعروف بأنه لم يتزوج رغم تجاوزه سن الستين- بالشذوذ، بينما اعتبر أن الكنيسة الكاثوليكية ذات النفوذ الواسع خليطا "من حزب سياسي وشركة مساهمة".

وقال باليكوت-المعروف بأنه بنى ثروة من صناعة الفودكا- بعد إعلان فوزه إنه يريد مكافحة سياسة "نزع الشرعية" القائمة حاليا في هذا البلد الأوروبي، مشيرا إلى أن الشخص "يمكن أن يذهب إلى السجن في بولندا إذا شتم الرئيس أو أهان الشعور الديني أو أهان أي مسؤول". ومضى قائلا إن البولنديين كان من الممكن أن يزيدوا دعمهم

لحزبه لكنهم تراجعوا وحولوا أصواتهم إلى المنتدى المدني خشية من فوز حزب القانون والعدالة المحافظ. وأكد أن نتيجة الانتخابات تقول إن ربع البولنديين يريدون دولة علمانية و"دولة متعاونة".

مقابلة

فاليسا: العالم ما زال بحاجة إلى قوة عظمى

يندر وجود من لم يسمع بليخ فاليسا من الجيل الذي شهد تطورات الحرب الباردة بين الشرق والغرب في الربع الأخير من القرن العشرين.

فالرجل قبل ١٤ أغسطس / آب عام ١٩٨٠ كان مجرد فني كهربائي في حوض لينين لبناء السفن في مدينة غدانسك البولندية الواقعة على بحر البلطيق.

لكن قيادته في ذلك اليوم لأكبر إضراب عمالي تشهده هذه الدولة الشيوعية السابقة وضعته في دائرة الضوء.

فاثر إدارة ناجحة لمفاوضات مع الحكومة التي كانت تدعي تمثيل الطبقة العاملة تمكن من انتزاع موافقتها على إنشاء أول نقابة عمالية مستقلة في المعسكر الشرقي التابع للاتحاد السوفياتي السابق تحت اسم "تضامن" لتكون بذلك أول طعنة في رقبة هذه الكتلة.

وسرعان ما تحول فاليسا بشخصيته الجذابة إلى إيقونة لمواطنيه، ورمزا لكفاحهم ضد سلطة حزب العمال البولندي الموحد (الشيوعي) المستمدة من الاتحاد السوفياتي.

ورغم حظر "تضامن" بعد فرض الحكم العسكري في بولندا في ديسمبر / كانون الأول من العام التالي، استمر كفاح فاليسا في الداخل البولندي وسط تشجيع غربي صريح.

وبعد تسعة أعوام، كان الاتحاد السوفياتي نفسه خلالها يترنح، توج فاليسا كفاحه عام ١٩٩١ بالفوز برئاسة جمهورية بولندا في أول انتخابات رئاسية حرة.

حكم فاليسا بلاده لولاية واحدة من خمس سنوات، فاوز خلالها على سحب الجيش السوفياتي من أراضيها، كما دعم انضمامها إلى حلف الناتو والاتحاد الأوروبي وتحولها إلى اقتصاد السوق الحرة.

لا يشغل فاليسا حاليا أي منصب رسمي، لكن هذا الزعيم الذي ينسب له دق أول مسمار في نعش الحكم الشيوعي في شرق أوروبا، ما زال حاضرا بقوة في مشهد بولندا السياسي.

وهذا نص مقابلة قصيرة أجرتها الجزيرة نت في وارسو مع فاليسا الذي يلفظ اسمه بالبولندية فاوينسا:

قبل ثلاثة أسابيع من موعد الانتخابات التشريعية الجديدة في بولندا، لا يوجد أثر يذكر للحملات الانتخابية، هل تعتقد أن البولنديين ملوا من السياسة بعد مرور نحو عقدين على التحولات؟

التطورات القائمة في بلادنا حاليا وديمقراطيتنا تسير بالتوازي مع ما يجري في الكيان الأوروبي الأكبر وما يواجهه من تحديات. أعتقد أن هنالك كثيرين في بولندا يعتقدون أن أوروبا وديمقراطيتها هي التحدي الأكبر لهم، وهو الأمر الذي لا يشجعهم على الانخراط في الانتخابات.

نحن نسعى في بولندا حاليا في إطار الإصلاحات إلى إنشاء مؤسسات تتبع لكيان ودولة جديدة هي دولة أوروبا. قد يكون ذلك تحديا آتيا لجيل واحد.

وفوق ذلك ينشغل البولنديون بمتابعة شؤون حياتهم اليومية ومشاكلها، وهي كثيرة وتغرقهم في تفاصيلها، فينصرفون عن السياسة.

خلال عملك زعيما سياسيا ورئيسا للثقت زعماء عربا لكن هل قرأت الأدب العربي أو القرآن؟

علي أن أعترف بحزن بأنني لم أقرأ. الرحلة التي أمضيتها لم تنح لي الوقت الكافي هذا هو السبب. بالنسبة للقرآن أنا أحترم كثيرا المؤمنين به وأظن أن فيه تعاليم ثمينة وأنا أحترم هؤلاء الناس.

ما أخشاه هم الأشخاص الشديدي التدين، عندما يقررون الانخراط في السياسة. الدين عندها سيفشل في التجربة، مثلما فشلت فيها ديانتنا المسيحية.

أنت ناضلت في السابق ضد الوجود العسكري السوفييتي على أرض بلدك، كيف تنظر الآن إلى الوجود الأميركي بعد إقرار نشر الدرع الصاروخية الأميركية على أرض بولندا؟

أعتقد أن العالم يحتاج إلى قوة عظمى. لكنه لا يحتاج إلى قوة عظمى تقهر الجزء المتبقي من العالم، بل تبقى التطورات القائمة في العالم تحت السيطرة.

حتى وقت قريب، كانت الولايات المتحدة تمثل الأمل في ملجأ بديل لأي شخص يتعرض للقمع في أرجاء العالم. هكذا كان ينظر إليها. لكنها فقدت مؤخرا هذه المكانة.

العالم يحتاج بدلا من ذلك، إلى طراز من القيادة السلمية والحكيمة. لكن بالتأكيد ليس التدخل في الشأن الداخلي للدول ذات السيادة، أو التدخل في شؤون الأديان.

الولايات المتحدة ارتكبت عددا من الأخطاء على هذا الصعيد مما جعل مكانتها القيادية في العالم محل تساؤل.

مراجع

- 1- Institute of public affairs –polish transition 1989-2011 , Dr Jacek Kucgarczyk.
- 2- Institute of public affairs – assisting negotioating transition to democracy – lessons from Poland 1980-1999 –Jaroslaw Cweik-Karpowicz, Pioter maciej Kaczynski .
- 3- How to win democracy and keep it? paper- krysztof Stanowski.
- 4- Warsaw business Journal – volume 17 =number 35 september 5-11 -2011, number 36 , september12- 18 – 2011 ,number 37 ,September 19-25 , 2011.
- 5- Institute of national rembrece : 1989 –year of freedom.
- 6- Institute of national rembrece: History of solidarity.
- 7- DPA وكالة الأنباء الألمانية
- 8- AFP وكالة الصحافة الفرنسية
- 9- Wikipedia

الصور: الجزيرة نت ، وكالة الأنباء الأوروبية ، مؤسسة تضامن الأوروبية

جميع الحقوق محفوظة لموقع الجزيرة نت

www.aljazeera.net

2011